Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يؤثر، فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم : ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ (الآيات من سورة المدثر)، وفي رواية قتادة أن الوليد بن المغيرة قال : والله لقد نظرت فيما قال الرجل ، فإذا هو ليس بشعر وإن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإنه ليعلو وما يعلى عليه وما أشك أنه سحر فأنزل الله ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾[1] ، فهذه الروايات تؤكد أن الوليد كان قد رجع عن رأيه وأنه غير موقفه تجاه القرآن ، وأنه إنما بنى وجهة نظره في القرآن على علم وخبرة تامتين في معرفة أسرار اللغة العربية وأساليبها المختلفة. وبالرغم من أن الوليد قد غير موقفه المنصف من القرآن ومن رسول الله صلى الله عليه وسلم لإرضاء قومه ، وللإبقاء على وحدة صف المشركين فإنه قد بين لنا على الأقل الفوارق الجوهرية بين الكاهن والساحر والشاعر، وأكد أن كلام الله في القرآن يختلف تمام الاختلاف عن كلام هؤلاء جميعًا ، وعن كلام غيرهم من الإنس والجن ، وذلك من حيث الشكل ومن حيث المضمون ، وفوق هذا كله فإن القرآن يختلف تمامًا عن الكهانة من حيث الهدف والغاية، فالقرآن إنما جاء لبناء الأمة وإرساء قواعد الملة ، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور ، وما أبعد صفات محمد صلى الله عليه وسلم وخصائصه الإنسانية العليا أن تشبه صفات الكاهن أو الساحر أو الشاعر ، وما أبعد الفرق بين القرآن وبين سجع الكهان .

بعد أن أوضحنا مفهومي الكهانة والعرافة وبينا حدودهما وآثارهما الاجتماعية المحدودة فهل يمكن بعد ذلك أن يزعم زاعم بأن محمدًا كان كاهنًا أو عرافًا ؟ وبخاصة أنه قد استبان لذي عينين أن تاريخه غير تاريخهم ، وحالته النفسية والبدنية والعقلية غير حالتهم، وطريقته وأسلوبه في الكلام وفي الحياة غير طريقتهم وأسلوبهم، واتصاله بالناس واتصال الناس به غير اتصالهم ، وآثاره في التاريخ وفي الأنفس غير آثارهم . ولتوضيح هذا المعنى وتأكيده أوردنا كلام الوليد بن المغيرة الذي فرق فيه بين النبي ، والكاهن ، والعراف ، والساحر ، وكيف أن أساطين البيان العربي قد وافقوه على قوله وإن خالفوه لشدة خطر الاعتراف به على مشركي مكة . ونفهم من كلام ابن هشام أيضًا أن الكهان في العرب كانوا يقابلون الأحبار عند اليهود والرهبان عند النصارى . ألا سحقًا لميزان المستشرقين الشائل والمعكوس الذي يسوي بين التبر والتراب ، وبين أواني النضار وأواني الفخار . وبين الدرر والزرر (خشبات أو أصداف) . إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يشتغل بالكهانة قط ولا بالسحر البتة ، بل إنه لم يكن له

(١) نفس المصادر .